

تطور العلاقات التركية الإسرائيلية

د/ سعيدي السعيد

كلية الحقوق والعلوم السياسية

جامعة بسكرة

Résumé:

Cette étude a pour objectif d'éclaircir la relation entre la Turquie et Israël depuis la période de l'état Ottoman jusqu'à la période des années quatre vingt dix.

A cet effet , nous démontrons la contribution des juifs dans la constitution de la république turque à caractère laïque et puis nous traitons l'évolution de cette relation entre les deux parties qui a atteint un haut niveau de coopération militaire dans cette période.

Finalemnt , nous étudions l'impact de cette relation sur les pays arabes et autres.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى توضيح العلاقات التركية الإسرائيلية منذ عهد الدولة العثمانية إلى فترة التسعينيات، يتخللها دور اليهود في تأسيس النظام الجمهوري ذو التوجه العلماني في تركيا.

ثم تطور هذه العلاقات حتى وصلت إلى مصاف التعاون العسكري في هذه الحقبة بين الطرفين، في ظل ذلك نحاول معرفة تأثير هذه العلاقة على دول الطوق العربية وغيرها.

مقدمة

يقول اليهودي جاك قمحي المسمى روتشيلد اسطمبول "أن اليهود أسسوا وطننا قوميا لهم في تركيا دون الإعلان عنه"، هذه العبارة تدل عن عمق العلاقات التاريخية بين اليهود والأتراك، وأهمية تغلغل اليهود داخل المجتمع التركي تعود بداياتها منذ تأسيس السلطنة العثمانية وهجرة اليهود إليها هربا من الاضطهاد الأوربي في القرن الخامس عشر، وتوالت الهجرات وتوطدت العلاقات إلي أن تأسس الكيان الإسرائيلي واعترف تركيا بيه عام 1949م. وأخذت العلاقات في ما بعد منحى دبلوماسيا إلي إن وصلت إلي مصاف التعاون العسكري وبعده التحالف الاستراتيجي في فترة التسعينات من القرن الماضي في ظل ذلك نحاول معرفة أسس العلاقات التاريخية بين اليهود والأتراك، وما هي أهمية التعاون العسكري بين الطرفين ثم ما موقف الدول العربية والإسلامية منه. ولمعالجة الموضوع اتبعنا الخطة التالية:

الفصل الأول: المنظور التاريخي للعلاقات التركية-الإسرائيلية

المبحث الأول: في عهد الدولة العثمانية

المبحث الثاني: في عهد الدولة الجمهورية

الفصل الثاني: تطور العلاقات التركية الإسرائيلية

المبحث الأول: الأهمية الاقتصادية

المبحث الثاني: الأهمية العسكرية

الفصل الثالث: مواقف دول الطوق

المبحث الأول: دول عربية

المبحث الثاني: دول إسلامية

الخاتمة

الفصل الأول: العلاقات التاريخية التركية-الإسرائيلية

- المبحث الأول: عهد الدولة العثمانية

لقد عرف التغلغل اليهودي داخل تركيا من خلال موجة الهجرات اليهودية إلى تركيا. فتمثلت في الهجرة الأولى في القرن الخامس عشر حين هاجر اليهود من أوروبا خوفاً من الاضطهاد الأوربي إلى تركيا مع بداية تأسيس السلطنة العثمانية وخاصة أثناء فترة بايزيد الثاني والسلطان سليمان القانوني السلطان العثماني العاشر أي في النصف الأول من القرن السادس عشر. ثم تلتها الهجرة الثانية لليهود إلى تركيا وهي هجرة يهود إسبانيا وذلك بعد سقوط غرناطة وأقول الحكم العربي الإسلامي للأندلس عام 1492م. فهاجر آلاف اليهود أنداك خوفاً من بطش الأسبان ومنه تغلغل هؤلاء داخل المجتمع التركي باعتبارهم أصحاب مهن وحرف ومال⁽¹⁾. ومعرفة اليهود باللغات الغربية وميلهم للتجارة وخبرتهم بشؤون المال والصيرفة أتاح لهم فرصة تسلم وظائف عدة في الدولة في مرحلة كانت تشهد تطوير العلاقات مع الدول الأوروبية فوسط هذا المناخ الإيجابي بدا اليهود حياتهم في الدولة العثمانية بحيث اعتبر القرن 16 عشر الحقبة التاريخية من تاريخ اليهود في تركيا في هذا القرن وفيما كان اليهود في أوروبا يقاسمون مختلف أنواع الاضطهاد والقمع كان يهود الدولة العثمانية يعرفون حياة مختلفة جداً من التسامح والعتاء وفرها لهم المسلمون⁽²⁾. غير أن العلاقات اليهودية التركية بدأت تسوء نتيجة مطالبة اليهود بإنشاء وطن قومي لهم في فلسطين باعتبار أن فلسطين كانت تحت الحكم العثماني أنداك وهو ما تجلي في انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في نهاية القرن 19 عشر عام 1897م لكن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني رفض هذا الطلب بالرغم من الإغراءات التي قدمت له من قبل اليهود سواء لشخصه أو لتسديد ديون الدولة العثمانية أنداك باعتبار أنها كانت تتوء تحت أعباء ديون خارجية تقدر بـ 106 مليون إسترليني. هذا الرفض جعل اليهود يخططون للإطاحة بالسلطان العثماني وهو ما تم فعلاً عام 1908م ومنه بدا اليهود يوفدون إلى فلسطين ويزرعون الفتن بين الأتراك والعرب مثل أن فشل الدولة العثمانية هو بسبب ضعف الشعور العنصري ويستوجب بذلك بناء دولة تستند علي الوحدة العنصرية للأتراك والقوميات الناطقة بالتركية⁽³⁾.

- المبحث الثاني: عهد الدولة الجمهورية

تم إعلان النظام الجمهوري في تركيا عام 1923م وفي 29 نوفمبر من نفس العام انتخب مصطفى كمال أتاتورك أول رئيس للجمهورية التركية والذي اعتمد سياسة ذات توجه علماني بحث بحيث قام بإلغاء الخلافة عام 1924م ومحاربة كل الطرق الإسلامية تحت تأثير يهودي كبير¹. يذكر أن تأسيس الجمهورية علي مبدأ سلام في الداخل سلام في الخارج لم يشفع لليهود بحيث أصبح ينظر لليهود وغيرهم كجسم غريب عن المجتمع التركي لأن اليهود خضعوا تدفع ما يسمى ضريبة الأفراد وكانوا يدفعون ضريبة مقدارها 10 بالمائة وقد طالبت هذه الضريبة جميع أبناء الجالية اليهودية الأمر الذي جعل غالبيتهم تضطر لبيع ما تملك لتسديدها مما جعلهم ينتهون إلي الإفلاس ومن امتنع عن الدفع سيق إلي معسكر اعتقال مركزي في عشق قاله ويمكن القول إن هذه الضريبة التي تعرض لها اليهود تعتبر من أكبر الضربات التي تعرضوا لها في تركيا منذ مجيئهم من اسبانيا². لذا ما إن تأسست دولة إسرائيل عام 1948م حتى غادر بعض اليهود تركيا لا سيما الطبقة الوسطى والفقراء منهم إلي الدولة الجديدة. غير إن هذا لا يعني أن اليهود تغيرت معاملتهم بل بالعكس فقد تم إلغاء هذه الضريبة عام 1944م. والأكثر من ذلك فقد قام اليهود بتسمية احدي أماكن الطريق بين تل أبيب وحيفا ب غابة أتاتورك والتي كتب علي نصب تذكاري فيها بالتركية والعبرية غابة أتاتورك. وقد أشار اليهودي التركي جاك قمحي قائلاً في الذكرى ل 500 لهجرة اليهود من الأندلس إلي تركيا وها نحن نرفع إمبراطورية في أنقرة فمن يستطيع أن لا يسمع أصواتنا عندما نريد إن نتحدث عن الآخرين وكأنه يريد أن يقول إن اليهود أسسوا تركيا قبل تأسيس إسرائيل⁽⁴⁾. على هذا الأساس ونتيجة العلاقة التاريخية بين تركيا وإسرائيل نجد أن تركيا هي أول دولة إسلامية تعترف بإسرائيل ككيان سنت 1949م⁶. في مناخ لم يكن فيه العرب يتقبلون حتى مجرد التفكيك بوجود هذا الكيان. وقامت بعد ذلك تركيا بفتح سفارتها في تل أبيب 09-03-1950م تدعيماً لهذا الاعتراف وتلتها بعد عامين بعد ذلك التحاق أول سفير تركي بمركز عمله عام 1952م، وهو ما يعزز العلاقات الدبلوماسية بين الطرفين⁽⁵⁾.

كما قامت تركيا و إسرائيل عام 1958م باتفاق عسكري تحت تسمية الاتفاق الإطاري في أعقاب قيام الوحدة بين مصر وسوريا، تضمن بنودا للتعاون العسكري و تبادل المعلومات والتدريب المشترك بجانب مساهمة الإسرائيليين في بناء بعض المطارات في تركيا، وتضمن أيضا تعهدات إسرائيلية. بدعم المطالب التركية المتعلقة بقبرص(في حالة نزاع مع تركيا). وفي نفس العام أيضا وقع الطرفان اتفاقا سريا يكفل تعاون في المجالات العسكرية والاستخباراتية (6). كما عرفت العلاقات تطورا امنيا عام 1982م بعد الغزو الإسرائيلي للبنان جرى تعاون بين إسرائيل و تركيا حيث أهدت إسرائيل تركيا وثائق تم الحصول عليها من بعض المواقع الفلسطينية كانت تحوي أسرارا عن العلاقات بين المنظمات الفلسطينية وجماعات تركية يسارية وأرمنية و كردية(7).

الفصل الثاني: تطور العلاقات التركية-الإسرائيلية

- المبحث الأول: من الناحية الاقتصادية

اقترحت تركيا في مشروعها مياه السلام إشراك إسرائيل فيه من خلال مد الأنبوب الغربي حتى الضفة الغربية لنهر الأردن ولكنها جمدته نتيجة معارضة الدول العربية له. هذا وقد زاد حجم التبادل التجاري بين تركيا وإسرائيل ما بين عامي 1988-1990م بنسبة 47%. وقد شهدت العلاقات التركية-الإسرائيلية تطورا متناميا منذ نشوب أزمة الخليج الثانية وبدء عملية السلام مع الكيان الصهيوني، وقد بلغت ذروتها بعد اتفاق التعاون العسكري بين الطرفين عام 1996م. وعلى الصعيد الاقتصادي الإقليمي وجهت تركيا في ما بعد مرحلة حرب الخليج دعوة للتعاون الشرق الأوسطي بمشاركة كل دول المنطقة بما فيها إسرائيل لضمان إحلال السلام نذكر منها: (8)

-إعادة طرح مشروع مياه السلام و مشاركة إسرائيل فيه وقد حدث فعلا تنسيق إسرائيلي-تركي في هذا الصدد، من خلال اجتماعين للرئيسين التركي والإسرائيلي في 11-08-1991م في مدينة عوجيك الساحلية التركية بعد أن سبقه اجتماع في أمستردام في 08-04-1991م.

-إعلان الرئيس التركي أوزال في 11-01-1991م ترحيب تركيا بعقد قمة شرق أوسطية في اسطنبول في الفترة من 03 إلى 09-11-1991م بمشاركة دول الشرق

الأوسط بما فيها إسرائيل وبعض الدول الآسيوية والأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية وكندا لمناقشة قضايا إقليمية من بينها المياه.

- اقتراح الرئيس التركي أثناء حرب الخليج وبعدها إقامة صندوق للتنمية الاقتصادية في الشرق الأوسط.

وقد شهدت العلاقات الاقتصادية بين البلدين تطوراً ملحوظاً بعد اتفاقية أوسلو للسلام عام 1993م أثناء توقيع اتفاقية السلام بين فلسطين والأردن من جانب إسرائيل من جانب آخر وقد بلغت ذروتها عند أول زيارة قام مسؤول تركي رفيع المستوى وهي رئيسة الوزراء تانسو تشيلر في نوفمبر عام 1994م لإسرائيل. ونتج عن هذه الزيارة إبرام عدة اتفاقيات مهمة للتعاون الثنائي مثل مكافحة الإرهاب و مجال الاتصالات، كما تم في هذه الزيارة بحث فكرة توسيع المجال العسكري. و قد تطرق الطرفان إلى قضايا المياه والتجارة الحرة أثناء المباحثات، هذا ونشير إلى أن حجم التبادل التجاري بين البلدين قد ارتفع عام 1995م إلى 363مليون دولار مقارنة بعام 1990م الذي لم يتجاوز 263مليون دولار.

وعلاوة على كل هذا تعزيز علاقات تركيا الاقتصادية و العسكرية مع إسرائيل التي هي الحليف الاستراتيجي الأول للولايات المتحدة الأمريكية يعزز وضع تركيا في مفاوضاتها مع مؤسسات التمويل المالية للحصول على قروض لدعم إصلاحاتها الاقتصادية.⁽⁹⁾

- المبحث الثاني: من الناحية العسكرية

أهم ما يميز هذه العلاقات هو اتفاق التعاون العسكري ما بين البلدين المبرم في 23-02-1996م وقد ولد هذا الاتفاق نتيجة عدة اعتبارات منها:⁽¹⁰⁾

- إنه جاء مكملاً لحرب الخليج الثانية 1991م كما تزامن مع اتفاقيات السلام العربية-الإسرائيلية، مدريد 1991م و أوسلو 1993م واتفاقية السلام مع الأردن بوادي عربة والجانب الإسرائيلي عام 1994م.

-قلق المؤسسة العسكرية التركية على مركزها الأوربي خاصة في حلف الأطلنطي وهو ما دفع إلى التقارب مع إسرائيل للحفاظ على صداقتها مع الولايات المتحدة والدفع بها إلى الانضمام إلى الاتحاد الأوربي.

-كسب اللوبي الصهيوني في مقابلة اللوبي اليوناني والأرمني في الكونغرس

الأمريكي

ومن بين أهم البنود التي وردت في هذا الاتفاق مايلي: (11)

-السماح للقوات الجوية لكلا البلدين بإجراء تدريبات في المجال الجوي للدولة

الأخرى

-تبادل الخبرات و المعلومات في مجال التدريب العسكري للقوات الجوية

-إجراء تدريبات مشتركة للقوات الجوية لكلا البلدين بمعدل 8 مناورات عسكرية

جوية في العام

-التنسيق الاستخباري بين الطرفين في جمع المعلومات عن سوريا و إيران

-تقوم إسرائيل بتحديث الطائرات الحربية التركية من طراز فان توم 4 بمبلغ 600

مليون دولار خلال 3 سنوات.

وبالتالي من بين ما أسفر عنه هذا التعاون، قيام الجانبين التركي والإسرائيلي

بإجراء مناورات دُنب البحر عام 1997 وامتدت بين بحر ايجة وحدود المياه الإقليمية

السورية مرورا بالمجالين الجوي والبحري لقبرص، كما تم إجراء مناورات ثلاثية مع

الولايات المتحدة في شرق البحر المتوسط باسم حورية البحر ما بين 5 و9 جاتفي

عام 1998م.

فالاتفاق يضمن لتركيا دورا إقليميا بارزا و مؤثرا في المنطقة بما يخدم مصالحها

وأهدافها إقليميا ودوليا ويوتجح لإسرائيل هامشا اكبر مت المناورة و الضغط عل الدول

العربية المشاركة في عملية التسوية السلمية. كما يوفر للولايات المتحدة آلية فاعلة لخدمة

مصالحها وأهدافها هي الأخرى باعتبارها الطرف غير المباشر في الاتفاق من خلال

علاقات التحالف التي تربطها بطرفيه⁽¹²⁾. هذا وقد استمر التعاون بين الطرفين بعد

هجمات 11 سبتمبر 2001م بحيث تم الاتفاق على إقامة مشروع صاروخي دفاعي

لمواجهة احتمال هجوم صاروخي عراقي أو إيراني وهو المشروع الذي أعطت الإدارة الأمريكية لأنقرة الضوء الأخضر له بعد هذه الهجمات.⁽¹³⁾

الفصل الثالث: مواقف دول الجوار

- المبحث الأول: مواقف الدول العربية⁽¹⁴⁾

أ/مصر: سارع الموقف المصري في مرحلة مبكرة من إعلان نية التعاون التركي-الإسرائيلي والى التحذير من انعكاسات هذا التحالف العسكري على دول المنطقة كافة، وترفض مصر أي تحالف عسكري في المنطقة لان مثل هذه الأحلاف أضرت بالمنطقة كثيرا وألحقت بها أضرارا وبالتالي لم تخف مصر قلقها إزاء تطور مستوى التعاون العسكري بين تركيا وإسرائيل، وان ذلك لا يخدم عملية التسوية السلمية للصراع العربي الاسرائيلي، ولا المحاولات الجارية لإيجاد ترتيبات أمنية لدعم الاستقرار الإقليمي وان ذلك لا يتواءم أيضا مع المستوى القائم و المتطور للعلاقات السياسية والاقتصادية بين تركيا والدول العربية. وأكد الرئيس المصري في 08-10-1998م إن مصر ضد التحالف ولن تنضم إلى أي تحالف من هذا القبيل (يقصد التحالف التركي الإسرائيلي) في المستقبل ولا تقبل أي عمل موجه ضد سوريا أو ضد أي دولة عربية أخرى.

ب/ سوريا: أكد مجلس الوزراء السوري في سبتمبر 1998م أن أي تحالف عسكري مع إسرائيل يعتبر مساندة لاستمرار احتلال إسرائيل للقدس الشريف ولبقية الأراضي العربية، وتعطيلا لإقامة السلام العادل والشامل في المنطقة. واعتبر المجلس الوزاري أن التحالف العسكري التركي-الإسرائيلي يشكل خطرا على امن المنطقة واستقرارها وعلى المصالح العربية التركية المشتركة. وأكد وزير الخارجية السوري أن المناورات التي تقوم بها الدولتان في المنطقة تشكل تهديدا مباشرا للأمن القومي العربي.

ج/ الأردن: في سبتمبر 1997م أعلن رئيس الوزراء الأردني أن بلاده لن تشارك في التعاون العسكري التركي-الإسرائيلي باعتبار أن الأردن ليست جزءا من أي حلف ذي طابع امني. ورغم ذلك فقد شاركت الأردن في مناورات بحرية مشتركة مع إسرائيل وتركيا وبمشاركة الولايات المتحدة بصفة مراقب في جانفي 1998م.

د/ العراق: أكد مندوب العراق لدى الأمم المتحدة في 16-04-1996م أن الإجراء المتخذ من جانب تركيا بإبرام اتفاق للتعاون العسكري مع إسرائيل ليس له ما يبرره. لأن تركيا جزء من منطقة إقليمية ولم ترع الرفض الإقليمي الشامل لهذا الاتفاق، كما إنها لم ترع حساسيات جيرانها من الدول العربية وليس فقط العراق وربما أيضا الأقطار العربية الأخرى وكذلك إيران والدول الإسلامية، وان هذا الإجراء لا يساعد على الاستقرار في المنطقة.

- المبحث الثاني: مواقف الدول الإسلامية⁽¹⁵⁾

أ/ إيران: أعلن وزير الخارجية الإيراني إثناء زيارته لأنقرة في 18-01-2000م قلق بلاده من التعاون العسكري التركي-الإسرائيلي، ومن التأثير المشؤم للدولة اليهودية في المنطقة.

وأكد الرئيس الإيراني آنذاك أن تركيا ليست في حاجة إلى التعاون مع دولة برهنت على طبيعتها العدوانية واضر وجودها الجميع في المنطقة وذلك في إشارة لإسرائيل.

ضف إلى ذلك ونتيجة اكتشاف مناطق جديدة للنفط والغاز في آسيا الوسطى والقوقاز تترك إيران جيذا مخاطر التغلغل التركي ومن ورائه الاسرائيلي في هذه المناطق وتأثيره بالتالي على المصالح الإيرانية من جهة وعلى الوضع الداخلي الإيراني من جهة أخرى، لذلك ساندت إيران مثلا أرمنيا في حربها ضد أذربيجان برغم توافق الأخيرة مع إيران دينيا و مذهبيا. لان موقفها كان إحباطا لنمو التأثير التركي فيها. ⁽¹⁶⁾

الخاتمة

إن تطور العلاقات التركية-الإسرائيلية لم يكن وليد الصدفة، بل جاء نتيجة لعدة عوامل موضوعية برغماتية مصلحية وإستراتيجية لكلا الطرفين، بداية من التغلغل اليهودي داخل الدولة العثمانية، ثم المتغيرات الدولية التي حدثت في التسعينات من القرن الماضي ومساهمتها في تقريب العلاقات التركية-الإسرائيلية، بدءا من انهيار الاتحاد السوفياتي (سابقا) إلى اندلاع حرب الخليج الثانية وكذا مباشرة اتفاقات السلام العربية مع الكيان الصهيوني، إلى جانب دور الولايات المتحدة الأمريكية في تعزيز وتوطيد هذه العلاقات بما يخدم مصالحها الإستراتيجية والجيوسياسية في المنطقة.

الهوامش

1. يوسف إبراهيم الجهماني- تركيا و إسرائيل- دار حوران دمشق 1999م ص8 و9.
2. محمد نور الدين- تركيا في الزمن المتحول قلق الهوية و صراع الخيارات رياض الريس للكتب والنشر بيروت 1997م ص 177.
3. الجهماني مرجع سابق ص32.
4. نفس المرجع ص 35.
5. نفس المرجع ص55.
6. جهاد عودة -التحالف العسكري التركي الاسرائيلي -مجلة السياسة الدولية عدد 153 سنة 2003 ص325.
7. نفس المرجع ص 326.
8. محمد علي حوات -مفهوم الشرق أوسطية و تأثيرها على الأمن القومي العربي مكتبة مدبولي القاهرة 2002 ص 217.
9. نفس المرجع ص 220 .
10. حميد حمد السعدون -الطوق مخاطر التحالف التركي الاسرائيلي- دار وائل للطباعة والنشر عمان 2002 ص 68.
11. محمد علي حوات مرجع سابق ص223.
12. نبيل محمد سليم وثامر كامل محمد- العلاقات التركية الأمريكية والشرق الأوسط في عالم ما بعد الحرب الباردة-مجلة دراسات إستراتيجية عدد 95 مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية سنة 2004 ص 55.
13. جهاد عودة مرجع سابق ص 330 .
14. نفس المرجع ص 328.
15. نفس المرجع ص 329.
16. حميد حمد السعدون مرجع سابق ص 91 .